١- نقد التراث عند حسن حنفي

جليد قادة(*)

لاشك أنّ المتتبع للحركة الفكرية المعاصرة في العالم العربي الإسلامي اليوم، يدرك وهذا دونما عناء في التفكير أو إصدار للحكم، أنّ المفكر العربي الكبير حسن حنفي بمشروعه الفلسفي والحضاري الضخم (التراث والتجديد) يعد من القلة القليلة بين المفكرين العرب الذين يجمعون في منهجيتهم الفكرية والنقدية بين التفكير الفلسفي المحترف والدعوة العملية للتغيير الاجتماعي و استبدال الواقع المعاق بواقع طموح. فالفكر النظري في فلسفته لا ينفصل عن الفكر العملي كما لا ينفصل التنوير عن التحرير، ولا غرو في ذلك، فمشروعه الفكري متعدد الجبهات والأهداف ويحمل الكثير من التحديات على شاكلة (إما أن نكون أولا نكون) فهو يخوض لجة البحر العميق بكل ما أوتي من قوة وجهد من أجل أن تصل الأمة إلى شاطئ الأمان، وهو يكتب لجميع المستويات ولكل الأطياف الفكرية والاجتماعية على اختلافها وتفاوت درجة وعيها، وهذا هو شأن المفكر الملتزم و المسئول الذي يعيش وسط الناس وضجيجهم متحسسا في ألم عقل الأمة العاطل وأطرافها المقيدة بثقل الواقع متحمسًا في أمل لإعادة البعث والبناء، بعث حوار نقدي ومعقول بين الماضي والحاضر وبناء إنسان عربي جديد يستجيب للمرحلة التاريخية الجديدة وهذا هو جوهر مشروعه الفلسفي الكبير التراث والتجديد الذي يتحدد بثلاثة عناصر أساسية :

١ -الموقف من التراث القديم (الأنا).

٢ -الموقف من التراث الغربي (الآخر).

٣ - نظرية التفسير (بناء العلاقة بين الأنا والآخر)

(*) معهد العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر.

إن التراث والتجديد إذن هو صلب المشروع الفلسفي والحضاري عند حسن حنفي وهو مشروع ذو جبهتين: الجبهة الداخلية والجبهة الخارجية، جبهة الأنا وجبهة الآخر، مشروع يسعى إلى ترميم صورة الأنا كما ورثناها من حطام الماضي السحيق بكل سلبياته وإيجابياته، وبناء صورة جديدة للأخر في إطار نسبيته و تاريخيته وشروطه المنتجة له. وعلى هذا الأساس فإننا في هذه الدراسة سوف نحاول أن نقترب من بعض الأسئلة الجوهرية التي يطرحها حسن حنفي في مشروعه الفكري والتي تعتبر أسئلة أساسية ومضيئة في بناء نظريته في التاريخ: التاريخ العربي وما يحمله من عوائق وإمكانيات والتاريخ الغربي وما يحمله من إنجازات وقيود.

إن الإشكالية النظرية والإجتماعية والحضارية للتراث والتجديد عند حسن حنفي ليست إشكالية طارئة في الفكر العربي المعاصر، بل هي إشكالية عضويه وصميمية في هذا الفكر منذ عصر النهضة و إلى اليوم هذه الإشكالية التي تتمحور أساسا حول أسئلة النهضة والتقدم والبناء، محاولة اللحاق بالركب الحضاري، ومن هذا المنطلق ، فإن « التراث والتجديد هو الوريث لحركات الإصلاح الديني الحديثة التي بدأت منذ أكثر من قرن من الزمان وهي العملية التي تصب فيها كل محاولات التغيير الجذري للقديم إما على مستوى الفكر أو مستوى الواقع » (١).

وإذا كان يبدو واضحا أن حسن حنفي قد إنخرط وانتظم تاريخيا وفكريا في سياق إشكالية عصر النهضة وهي(كيف تأخر المسلمون وتقدم غيرهم) وكيف نغير الواقع العربي ونحقق المرغوب العربي المتمثل في التجسيد الفعلي للنهضة والتنمية والبناء الحضاري. فإن هذا لا يعني أن حسن حنفي يقاسم كتاب النهضة والحداثة منهجياتهم المطبقة في قراءة التراث، تراث الأنا وتراث الآخر ، فالتراث عند حسن حنفي ليس إرثا ماديا يمكن أن نتخلى أو نتنازل عنه في أي لحظة من لحظات

---

(١) د.حسن حنفي:التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ط٤، ١٩٩٢، ص:٥٧.

التاريخ، بل هو مسألة شخصية مرتبطة بوعينا وشعورنا فالذي يكتب عن تراثه إنما يكتب عن نفسه بشكل أو بآخر والتراث لا يوجد وراءنا بل يوجد أمامنا لأننا معرضون إليه ولأنه قدرنا.

إن مسألة تجديد التراث عند حسن حنفي ليست مسألة نظرية مجردة أو ترفا فكريا أو قضية ثقافية محايدة، بل هي عملية حضارية تجمع بين الوعي والمسؤولية من جهة، والإلتزام بقضايا الأمة والمجتمع والتاريخ من جهة أخرى، « من أجل المحافظة على الإستمرار في الثقافة الوطنية وتأصيل الحاضر ودفعه نحو التقدم والمساركه في قضايا التغيير الإجتماعي [1] » وهذه العملية من شأنها أن تعمل على إعادة صياغة جديدة للذات العربية بعد تخليصها من حطام الماضي وأوهام الحاضر، ذات عربية واعية بوجودها وبرسالتها في التاريخ، وهذه العملية في نظر حسن حنفي لا تتحقق إلا بمباحثة نقدية وتجديد وصياغة فلسفية وتاريخية لمجموعة من العناصر الأساسية.

١- تغيير المحتوى النفسي للإنسان

يعتبر عنصر الإنسان عند حسن حنفي جوهر العملية النهضوية والتنموية في كل مجتمع وفي كل حضارة وهو الرأسمال الحقيقي في كل بناء إجتماعي وتاريخي « فالتصنيع والإصلاح الزراعي قد يتحطمان لأن الإنسان وهو العامل والفلاح لم تتم إعادة بنائه ووضعه في العالم وظل متخلفا عن مظاهر التقدم فالثورة الصناعيه والزراعيه في البلاد النامية لا تتم إلا بعد القيام بثورة إنسانية سابقة عليها وشرط لها [2] ». ونظرا لأهمية العامل البشري فإن حسن حنفي يدعو إلى بناء الإنسان العربي من الداخل قبل تحميله مسؤولية البناء الحضاري، فالتاريخ مثلا يسجل لنا الكثير من التجارب التنموية التي فشلت في العالم العربي وأخرى لم تحقق أهدافها كاملة لأنها غيبت دور الإنسان وقوته الخلاقة في تصور مشروعها التنموي ، فالإنسان واقع نفسي وأخلاقي

---

(١) نفسه، ص:١٣.

(٢) نفسه، ص:١٣.

قبل أن يكون واقعا فيزيائيا وهو غاية البناء وليس وسيلة له فقط .

وإنطلاقا من هذا المبدأ يرى حنفي أن غياب موضوع الإنسان في فكرنا الإقتصادي والإجتماعي المعاصر وتغييبه أو تحجيم دوره في إستراتيجية التنمية والبناء يرجع أساسا إلى غياب البحث في الإنسان كبعد مستقل في تراثنا القديم. وبالتالي إمتداد الماضي في الحاضر يقول حنفي: « وإذا كنا نبني ونعمر ثم ينهدم البناء ويخرب العمار فإن ذلك قد يرجع إلى غياب الإنسان كبعد مستقل في تراثنا القديم وحصاره بين الإلهيات و الطبيعيات في علوم الحكمة و إبتلاعه في علم التوحيد وفنائه في علوم التصوف ومحقه في علوم التشريع »(١).

وبناء على هذه المعطيات التي تربط بين حقائق الحاضر وحقائق الماضي فإن حنفي يرى أن الماضي والحاضر لا يزالان يشكلان وحدة عضوية في شعورنا ووجداننا اليوم، وأنّ الكثير من سلوكياتنا وممارساتنا قد نجد لها أسبابا وذرائع تبررها من الماضي، وكنتيجة منطقية ومعرفية لعلاقة الحاضر بالماضي في وعينا المعاصر يغدو : « تحليل التراث هو في نفس الوقت تحليل لعقليتنا المعاصرة وبيان أسباب معوقاتها وتحليل عقليتنا المعاصرة هو في نفس الوقت تحليل للتراث لمّا كان التراث القديم مكونا رئيسيا في عقليتنا المعاصرة، ومن ثم يسهل علينا رؤية الحاضر في الماضي ورؤية الماضي في الحاضر فالتراث والتجديد يؤسسان معا علما جديدا وهو وصف للحاضر وكأنه ماضي يتحرك ووصف الماضي على أنه حاضر معاش »(٢).

إنّ هذه الوضعية المزدوجة التي يعيشها الإنسان العربي اليوم في وعيه وسلوكه من خلال هذا الوعي الزائف بالزمن وبلحظات التاريخ هي التي تجعله اليوم عديم الفعالية والإبداع والإبتكار، وبالتالي كان من الضروري والأولى أن نبدأ في تغيير المحتوى النفسي للإنسان ، تغيير الأفكار الميتة والقاتلة و إستبدالها بأفكار حية وبناءة ، فالواقع واقع

---

(١) نفسه، ص: ١١.

(٢) نفسه، ص:١٩.

نفسي بالدرجة الأولى وعندما نغير ما بأنفسنا عندئذ سيتغير ماحولنا .

وإنطلاقا من هذه الرؤية فإنّ حنفي يخلص إلى نتيجة جوهرية وهي أن الواقع في أساسه « أبنية وسلوك ومواقف وإتجاهات ، بل إن الإتجاه النفسي هو الواقع كله والواقع المصمت لا يتحول إلى واقع إجتماعي إلا من خلال سلوك الجماهير وإتجاهاتها ومواقفها، الواقع الحي أبنية نفسية وعقبات إجتماعية وتصورات للعالم »(١) .

ومن أجل تجاوز هذه المشكلة الحضارية فإن حسن حنفي يقدم للإنسان العربي القاعدة النظرية في مشروعه التراث والتجديد لحل عقده النفسية والفكرية ومشاكله الحضارية حتى يصبح عنصرا فعالا لا منفعلا ، محركا لا تابعا متطلعا إلى المستقبل لا إلى الماضي ، ومن هنا تصبح « قضية التراث والتجديد هي الكفيلة بإعادة بناء الإنسان في البلاد النامية عن طريق إكتشافه لبعده التاريخي وإعطائه أسسا نظرية للتعبير وتفجير طاقاته المخزونة وخلق ثقافته الوطنية وتحريك الجماهير السلبية وإنزالها بكل ثقلها إلى ميدان التطور والتنمية »(٢) .

وإذا كان لكل علم مهمة أو غاية شريفة يقصد إليها فإن مهمة التراث والتجديد هي« تفجير طاقات الإنسان المختزنة المحاصرة بين القديم والجديد كحصار الإنسان في اللاهوت المسيحي بين آدم والمسيح، بين الخطيئة والفداء »(٣) .

إنّ تفجير الطاقة الذاتية المعطلة للإنسان العربي اليوم وتغيير محتواه النفسي وتصحيح أفكاره ومبادئه هي الرهان الوحيد الذي يوجد أمامنا اليوم والذي يجعلنا ننتقل من الزمن المتخشب إلى الزمن الحي، من الزمن الهائم إلى الزمن العالم ، وأخيرا وليس آخرا من اللاتاريخ إلى التاريخ .

---

(١)نفسه، ص:٥٣.
(٢)نفسه، ص:٤٩.
(٣)نفسه، ص:٥٢.

٢- إسبقية الواقع على الفكر

إنّ حسن حنفي عندما يتناول إشكالية العلاقة بين الواقع والفكر في مشروعه الحضاري لا يتناولها في إطار الإشكالية الفلسفية التقليدية التي تكسرت على صخورها رؤوس الفلاسفة، وهي أيهما أسبق : الفكر أم الواقع ؟

إنّ حسن حنفي يتجاوز هذا الطرح المجرد الذي يقسم تاريخ الفلسفة إلى تيارين متعارضين (المادية والمثالية) منذ أفلاطون وإلى اليوم. إذن فما هي نظرة حنفي لطبيعة العلاقة بين الفكر والواقع وفي مشروعه تحديدا ؟

إنّ حنفي في إجابته على هذا السؤال ينطلق من روح الحضارة العربية الإسلامية التي هي حضارة مؤسسة على النص حيث يرى أن القرآن الكريم وهو نص مقدس إنما جاء ليجيب على تساؤلات الواقع ومشاكله، فلم يكن نصا مثاليا مجردا من إهتمامات الحاضر، بل نصا حيا يحمل في ذاته ملامح الواقع وسنن المجتمع والتاريخ. فالقرآن الكريم نزل لأسباب موضوعية وهذه الأسباب تشير إلى واقع معين يقول حنفي: « وإنّ ما عبر عنه القدماء باسم أسباب النزول لهو في الحقيقة أسبقية الواقع على الفكر ومناداته له كما أن ما عبر عنه القدماء بإسم الناسخ والمنسوخ ليدل على أن الفكر يتحدد طبقا لقدرات الواقع وبناء على متطلباته، إن تراخي الواقع تراخي الفكر وإن أشتد الواقع أشتد الفكر. فالتراث إذن ليس له وجود مستقل عن واقع حي يتغير ويتبدل، يعبر عن روح العصر وتكوين الجيل ومرحلة التطور التاريخي »[١].

وإنطلاقا من هذا التصور العام الذي يحدد العلاقة الجوهرية والعملية بين الواقع والفكر فإن حنفي يرفض الفلسفات المريحة وأشكالها الحالمة التي تنطلق من الفكر وتنتهي إليه، وكل الفلسفات التي لا تتخذ موقفا نقديا وعمليا من الحاضر وكثيرا ما

---

(١)نفسه، ص:١٥.

تخطب وتعتقد أنها تفكر وتنفعل وتظن أنها تفعل وتزيف الواقع أو تنكره بدل أن تواجهه بكل حقائقه يقول حنفي: « وشتان مابين الإحساس والواقع وفرق بين الإنفعال الذاتي والحقيقة الموضوعية، فالقيم السلبية تسلبنا المقاومة الفعلية ويقضي الحب على الصراع بين الأضداد ويهدم العقل تحت وطأة الإنفعال، يحول الواقع إلى مثال وهو مازال الواقع المضني »(١).

إنّ المهمة الأساسية في نظر حنفي والتي تسبق كل تغيير إجتماعي تتمثل في ضرورة تحليل الواقع تحليلا موضوعيا بما يسمح لنا بالقبض على العناصر التي يتألف منها حتى نستطيع أن نميز في هذا الواقع بين قيم التراث وقيم العصر وحتى نستطيع أيضا أن نختار المنهج الملائم لمواجهة محددات وتجليات هذا الواقع مواجهة نقدية و بناءة وبالتالي كان من الضروري و إبتداء أن نعمل على « تحليل أبنية الواقع وإلى أي حد هي ناشئة من الواقع ذاته ودرجة تطوره أم أنها ناشئة من الأبنية النفسية للجماهير الناشئة بدورها من الموروث القديم »(٢) وبعبارة أخرى فإن هذه العملية النقدية والمعرفية الجريئة في الفكر العربي المعاصر تود «الإنتقال من علم إجتماع المعرفة إلى تحليل سلوك الجماهير، أي من العلوم الإنسانية إلى الثقافة الوطنية إلى الثورة الإجتماعية والسياسية »(٣).

وبناء على هذه القاعدة النظرية والثورية التي تؤسس لقيام علم جديد في الفكر العربي المعاصر، فإنّ الفكرة عند حنفي تشير إلى الواقع والواقع يشير إلى الفكرة، فلا غربة ولا إغتراب ولا واقع بدون أسباب ومن ثمة كان التراث والتجديد عند حنفي هو« القادر على التنظير المباشر للواقع لأنه يمد الواقع بنظريته التي تفسره والقادرة على تغييره فالتراث هو نظرية الواقع والتجديد هو إعادة فهم التراث حتى يمكن رؤية الواقع

---

(١)نفسه، ص:١٨.

(٢)نفسه، ص:٢٦.

(٣)نفسه، ص:٢٦.

ومكوناته »[1].

وإن كان حنفي يعطي أهمية للواقع الحي فهذا لا يعني أنه ينكر دور الفكر، بل يرى أن الفكر تعبير عن الواقع ومحرك له، أي أن الفكر لابد أن يتكيف مع متطلبات الواقع حتى يستطيع أن يكون فكرا فاعلا ومغيرا يقول حنفي :« وسواء بدأنا من التراث لفهم الواقع أو التنظير المباشر للواقع ، فكلا المنهجين النازل والصاعد يؤديان إلى نفس النتيجة؛ فلا الواقع يستنبط من الفكر ولا الفكر يأتي من الواقع المسطح الجزئي وإن كان يأتي من الواقع العريض، وذلك راجع إلى واقعة الوحي الذي هو مصدر التراث وكيف أنه جاء تلبية لنداء الواقع وتكيف على أساسه »[2].

إن هذه المقاربة الثورية للفكر وعلاقته بالواقع عند حنفي تشير إلى قضية شخصية وتاريخية محددة، وهي أن حنفي مفكر صاحب الفلسفة العملية لا الفلسفة النظرية ومشروعه هو مشروع للتغيير لا للتبرير ، يعيش التاريخ في وجدانه لا في خياله، يعيشه كتجربة وعمل لا كرغبة وأمل.

٣ - تجديد علوم التراث :

يرى حنفي أنّ التراث يحمل في ذاته الكثير من الإمكانيات والعناصر الإيجابية التي تجعلنا نستفيد منه اليوم في بناء نهضتنا المأمولة، ولكن يجب أن ننظر إليه بشكل جديد ومنهج جديد يتلاءم مع طبيعة المرحلة التاريخية، لأنّ العالم يشهد اليوم تطورا في المناهج و الموضوعات ، ولقد ترسخت في العقلية المعاصرة النظرة العلمية الجديدة في مقابل النظرة التقليدية القديمة. ولتحقيق هذا الهدف كان من الواجب أن نعمل على نقل كل البناء النظري السابق بعد نقده وتمحيصه على أساس نظري جديد لإعطائه أبعادا جديدة سواء من حيث اللغة التي يعبر بها ومن حيث الكشف عن مستويات جديدة للتحليل أو من حيث المادة التي يقدمها الواقع الجديد »[3].

---

(١)نفسه، ص:٣٤.

(٢)نفسه، ص:٣٤.

(٣)نفسه،ص:١٤٩.

إن القضية إذن هي قضية فهم للتراث وإعادة اكتشافه من جديد في ضوء قيم البحث العلمي والروح العلمية حتى نخرج التراث من دائرة الإطلاقية إلى دائرة النسبية وحتى نتحول من كائنات تراثية إلى كائنات لها تراث، لأننا في البحث العلمي « لا نتحدث عن نظريات ولا تصورات ولا مفاهيم مطلقة فكل نظرية وكل مفهوم يرتبط بسياقات نشأته ويفترض أنّ أيّ تطور أو تغيير في السياقات المذكورة يؤدي بالضرورة إلى لزوم إعادة النظر في المقدمات والوسائل والنتائج »(١).

ويرى حنفي في هذا السياق أنّ هناك نظرتين أو نعرتين متعارضتين للتراث: النعرة العلمية والنعرة الخطابية وأنّ الفهم الحقيقي للتراث يكمن في تجاوز تهافت هاتين النظرتين من حيث المنطلقات. فما طبيعة هذه النظرة يا ترى والعلاقة التي تقيمها هاتان النعرتان مع التراث؟

إن النعرة العلمية للتراث تعكس نظرة المستشرقين الذين يقرأون التراث مفصولا عن الوحي أو يعتبرون أنّ الوحي جزء من التراث و ينكرون البعد الإلهي لرسالة الإسلام ويخرجونه من دائرة الديانات السماوية باعتبار أنّ الوحي في نظرهم تحريف وتلفيق لما جاء في الديانة اليهودية والمسيحية وبالتالي « فالنعرة العلمية التي تقوم عليها مناهج المستشرقين تعني دراسة الظاهرة الفكرية كظاهرة مادية خالصة وكتاريخ خالص مكون من شخصيات وأنظمة اجتماعية وحوادث تاريخية محضة يمكن فهمها بتحليلها إلى عوامل مختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية تحدد نشأتها وطبيعتها »(٢). وإذا كان هذا هو جوهر النعرة العلمية فما هو جوهر النعرة الخطابية؟

يرى حنفي أنّ النعرة الخطابية رغم أنها تنطلق من منطلق صحيح (التسليم بحقيقة الوحي) إلاّ أنها تقع في الكثير من التناقضات، وهذا بسبب اعتمادها لأسلوب

---

(١)د.كمال عبد اللطيف،الحداثة والتاريخ، أفريقيا الشرق، لبنان(ب.ط)١٩٩٩ ، ص٣٥.

(٢)حسن حنفي، المرجع السابق، ص: ٧١.

العاطفة في مقابل المنهج العقلي ولافتقادها أيضا للوعي التاريخي الذي يجعلها تتعامل مع الواقع تعاملا نقديا ومتفاعلا ويجعلها تستفيد من تجارب التاريخ، يقول حنفي: « بالرغم من أنّ النزعة الخطابية تعطي الأولوية للوحي على التاريخ إلاّ أنّ الإتجاه إتجاه ساذج يعبر عن نوع من المراهقة الفكرية حيث تسود العاطفة والانفعال »(١).

وفي نظر حنفي يكمن الفهم الحقيقي للتراث في التوفيق بين المنطلقات الصحيحة لكل نظرة منهما، وفي هذا الإطار يقول:« وإذا كان خطأ النعرة العلمية أنها تعرف كيف تقول دون أن تعرف ماذا تقول فإن خطأ النزعة الخطابية أنها تعرف ماذا تقول دون أن تعرف كيف تقول والتراث والتجديد لتفادي الخطأين معا إذ يحاول أن يعرف ماذا يقول وهو التراث وكيف يقول وهو التجديد »(٢).

وبالتالي يكون التراث والتجديد قد أجاب على الأسئلة المستعصية في الفكر العربي المعاصر وهي كيف نقرأ التراث ونفهمه؟ وكيف نستفيد منه في الحاضر؟

٤ - جدلية الأنا والآخر:

يرى حنفي أنّ الأنا يتحدد بالآخر وأنّ بناء صورة الأخر في الذات هو جزء من بناء الذات نفسها، ولأنّ التاريخ في جوهره عملية جدلية، تأثير وتأثر « فتحديد موقفنا من التراث الغربي جزء من حركة التاريخ وتطور الحضارة واستمرار لما بدأناه في العصر القديم كما أنه تحليل لواقعنا المعاصر الذي أصبح التراث العربي جزء من تكوينه الثقافي كما أنه واجب وطني وقومي من أجل تأصيل موقفنا الحضاري والقيام بالحركة التي لم نقم بها حتى الآن وهي معركتنا مع الثقافة الغربية الوافدة »(٣).

---

(١)نفسه، ص:٩٦.

(٢)نفسه، ص:١٠٥.

(٣)نفسه، ص:١٨٠.

وحتى تتم إعادة بناء الذات بناء نقديا واعيا في مقابل الأخر جاء حنفي بمفهوم الإستغراب الذي هو في جوهره « الوجه الآخر المقابل بل والنقيض من الإستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) من خلال الآخر(الغرب) يهدف علم الإستغراب إذن إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر والجدل بين مركب النقص عند الأنا ومركب العظمة عند الآخر»(١).

لقد سعى الإستشراق الغربي في نظر حنفي إلى تشكيل صوره بمصبة للشرقي في الوعي الغربي قائمة على التزييف والتحريف والتشويه وهي صورة غير صحيحة في أساسها، في حين أنه إحتفظ لنفسه بصورة ايجابية تعكس قيم التفوق والقوة والعلم والإنسانية والهيمنة العالمية .

ومن هنا جاء علم الاستغراب ليقلب الصورة أي القيام بتشكيل صور حقيقية للإنسان الغربي في الوعي الشرقي من خلال دراسة الغرب في إطار شروطه الاجتماعية والتاريخية، باعتبار أنه نتاج ظروف ساهمت في تشكيله وبنائه وإبرازه، و من هنا إدراك نسبية الحضارة الغربية والتخلص من عقدة النقص والقابلية للاستعمار والاستعباد و التبعية .

وعندما نقوم بعملية بناء صورة جديدة للأنا و الآخر فإننا بذلك نسمح بتقارب الحضارات (الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية على الخصوص) يقول حنفي: « فالصوّر الذهنية هي التي تحدد الرؤية وتوجه السلوك ومن كثرة تكرار هذه الصوّر النمطية تتحدد الوقائع ويدوّن التاريخ ويورّث للأبناء عبر الأجيال وإنّ محاربة هذه الصور الكاريكاتورية للأنا في ذهن الآخر وتطهير الآخر وعيه من هذه الصور لهو تحويل لهذا الإلتقاء الحضاري من السلب إلى الإيجاب ومن التقابل إلى التفاهم ومن العداء إلى الحوار»(٢).

---

(١)د.حسن حنفي، ماذا يعني علم الإستغراب ؟ دارالهادي، لبنان، ط ١ ،٢٠٠٠ ص:٤٩.
(٢) نفسه،ص: ١٥٢.

وكنتيجة لذلك تصبح أطروحة نهاية التاريخ وصراع الحضارات وكل الأطروحات الاستعمارية و الإستكبارية المرتبطة بها غير ذات معنى عندما نقارنها بالأهداف الإنسانية والحضارية لعلم الإستغراب..

ومن هنا يمكن أن نقول رغم إننا نعتبر حسن حنفي مفكرا إسلاميا يحمل هموم الأمة الإسلامية وهموم العالم الثالث فإنّ هذا لا يقلل من أنه مفكر إنساني وعالمي يساهم بفكره المضيئ في إنقاذ الحضارة الإنسانية والمصير العالمي، ذلك هو الهدف الخفي واللامنطوق في مشروعه : التراث والتجديد.